الانتصار

بحوث في التوراة والانجيل

تأليف
حبيب آل ابراهيم

فهرس المطالب

- مقدمة
- طويفة
- الفصل الأوّل

(المبحث الأوّل)

(المبحث الثاني)

(المبحث الثالث)

(المبحث الرابع)

(المبحث الخامس)

- الفصل الثاني

(المبحث الأوّل)

(البحث الثاني)

- الفصل الثالث

تحقيق علمي

- الفصل الرابع

محمّد(صلى الله عليه وآله) وبحرا

- الفصل الخامس
- الفصل السادس
- الفصل السابع

نحمدك اللهم يا مَن أوضحتَ لنا سبيل الحق حتى جرينا عليه وكشفت لنا عن نمير العلم حتى انتهينا إليه، ودللنا على غوامض العرفان ودقائقه، وأسراره وحقائقه، بكتاب **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد)**[1] ثم شرحت لنا ما أجمل منه وبيّنت ما خفي على لسان رسولك الصادق الأمين، فصدع بأمرك، وبلغ إلى عبادك، صاواً محتسباً حتى قبضته إليك نقيَّ الجيب، خلي العيب، ثمّ اتبعته بأهل بيته الأطهار حملة علمك، وتراجمة وحيك، الذين عصمتهم من الزلل وطهّرته من الرجس تطهيراً، فاستنقذوا عبادك، وأحيوا بلادك، حتى أصبح المسلمون في بحبوحة علم، وضياء هدى مبين، لم يحفلوا بالعواصف، ولم يأبهوا للرواجف، ولم تُلفت أنظارهم زخاريفُ التضليل، ولا علقت بأسماعهم طنطنة أُهل الخلط والتدجيل، فهم من العلم بالحقائق على مثل

1- فصلت: 42.

الشمس الطالعة، ومن الإيمان على مثل الجبل الراسخ، **(يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضلّ الله الظالمين)**[1] وصلّى الله على نبيّك محمدّ الأطيب الأطهر وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم بإحسان وسلمّ تسليما كثيراً.

وبعد فيقول كاتب هذه الأسطر المهاجرُ العاملي حبيب آل إبراهيم كانت نتيجة ما كتبه كتبة البروتستانت من المسيحيين في حملاتهم على الإسلام، ومهاجمتهم على أسوار قدسه المنيعة ومعاقل غزّه الرفيعة، تزلزل معاقل غزّهم، وتهدمُ أسوار منعتهم.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يهنها وأوهى قرنه الوعل

نعم كانت نتيجة حملات أولئك المبشّرين، وثمرات جهادهم في حمل المسلمين على الاعتقاد بصحّة الكتابين، التوراة والإنجيل، وعدم تغيير العهدين العتيق والجديد، داعياً لاعتقاد عدم صحتهما، وباعثاً على التصديق بتغيرهما، ذلك لأنّ الحقيقة أبت لنفسها إلاّ الظهور، ذلك لأنّ العلم قائد لكلّ خير، ذلك لأن الأنفس الحية مّن أبناء المسلمين والنصارى، وذوي الضمائر الحرّة من أبناء الأمم كافة، لم يرضوا لأنفسهم بالمقام على الجهل، والتسليم لكلّ قائل بغير دليل، والدعة لكل قالة من دون برهان.

فلفتت تلك الحملات النظر، واستحثّت الأفكار على البحث والتحقيق فسرح ذوو الأنظار طرفهم، وأمعنوا في صفحات التوراة والإنجيل نظرهم،

1- ابراهيم: 27.

رؤوا فيهما أمراً هائلاً، واقرأتهم التوراة في أسفارها والإنجيل في إصحاحاته شيئاً عجيباً، فبينما يقرؤهم البرهان بقياسه الصحيح، ويرتل عليهم من آيات شكله الأوّل، إنّ الله تعالى شيء لا كالأشياء، "كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، سميع إذ لا مسموع لديه من بريته" إذ بالتوراة والإنجيل يحدثانهم بخلاف ذلك، حدثتهم التوراة بالكلمة الثانية من الإصحاح الأوّل من سفر التكوين. انّه قبل خلق السموات والأرض كان روح الله يرف[1] على وجه الماء، وبالكلمة السابعة والعشرين منه انّ الله قال: (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) وبالكلمة الثامنة والعشرين منه (انّ الله خلق الإنسان على صورته على صورة الله خلقه) فذعروا لذلك واندهشوا وانشدوا:

وكفاهم ان مثلوا معبودهم سبحانه بعباده تمثيلا

رأوا انّ البرهان العقلي قائم على انّ الله قديم ولازم ذلك ان لا يكون جسماً لأن كل جسم لآية حركته وسكونه حادث والقديم لا يكون حادثاً والتوراة بقولها (وروح الله يرف على وجه الماء) أثبتت له الجسمانية والحدوث معاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً:

ورأوا انّ البرهان العقلي قائم على انّ الله ليس بمركب لأن التركيب من

1- قال في المنجد (رف الطائر بسط جناحيه، وفي مجمع البحرين (كلّ من الطيور ما رفّ أي حرّك جناحيه).

عوارض الأجسام الحادثة، والأجرام الممكنة، والتوراة بقولها خلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه، أثبتت له التركيب، لاستلزام الصورة وجود المادة فيكون مركباً والقديم لا يجوز أن يكون مركبا.

فلم يكن لأولئك النبلاء مندوحة عن الرجوع إلى ما يقرّره القرآن كتاب الله المنزّل على محمدّ صلى الله عليه وآله بقوله في الآية الحادية عشر من سورة الشورى: **(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه أنيب * فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)**[1] وانشدوا:

الله أكبر ان دين محمّد وكتابه أقوى وأقوم قيلا

طلعت به شمس الهداية وأبى لها وصف الكمال أفولا
للورى

جمعت فروعاً للهدى والحق أبلج في شريعته التي
وأصولا

ثمّ ارادوا تبينا واستحثوا النظر على زيادة الاطّلاع تثبتا فقرأوا في الكلمة السادسة عشرة في الإصحاح الثاني من سفر التكوين (وأوصى الربّ الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت، (وفي الكلمة الرابعة من الإصحاح الثالث من سفر التكوين (فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير

-1

الصفحة 5

والشر، فرأت المرأة انّ الشجرة جيدة للأكل، وانها بهجة للعيون، وان الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت واعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر) فارادوا حينما قرأوا ذلك حيرة واندهاشا، واضطراباً وانذعارا، قائلين سبحان الله أيكذب الله وتصدق الحية؟ يقول الله لآدم يوم تأكل منها موتا تموت، وتقول الحيّة لن تموتا، بل الله عالم انه يوم تأكلاه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فيكون الأمر كما تقول الحية[1] ولا يكون كما يقول الله ما هذا الإله؟ أليس الكذب قبيحاً؟ أيجوز على الله أن يرتكب القبيح؟ وهل هناك حاجة تدعو إلى ارتكابه؟ أو يجوز على الله أن يكون محتاجاً؟ وإذ كان الحق انه لا يجوز على الله أن يكون محتاجاً ولا يجوز عليه صدور الكذب فما هذا القول السخيف، وما هذا التقوّل على الله، وما هذه الخرافات التي لا تنطبق على عقل ولا نقل، سبحانك اللّهم وبحمدك تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

ثم ارادوا تبينا فقرأوا في الكلمة الثامنة من الإصحاح الثالث من سفر التكوين (وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار

1- فلا يموت آدم، بل من المعلوم انه بقي بعد هبوطه إلى الأرض خمسماية سنة يبكي على فراق الجنة، ويصبح عارفا الخير والشر كما في الكلمة الثانية عشرة من الإصحاح الثالث من سفر التكوين (وقال الربّ الإله هو ذا الإنسان صار كواحد منّا عارفاً الخير والشر).

الصفحة 6

فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنّة فخشيت، لأنّي عريان. فاختبأت فقال: من اعلمك انك عريان؟ هل أكلت مَن الشجرة؟) أناشدكم الله كيف يمشي الله في الجنّة؟ فهل لله أعضاء أيدي وأرجل؟ وهل تحويه الأماكن؟ وكيف اختبأ آدم وامرأته منه؟ وهب انهما جاهلان أفيجهل الله

مكانهما؟ فكيف إذاً نادى آدم مستفهماً (أين أنت؟) (ومنَ أعلمك أنكّ عَريان؟) وهل للاستفهام التقريري أو الانكاري هنا وجه؟

لا مندوحة العاقل متى اطلع عليه عن الجزم بتحريف التوراة وتغييرها عند سماعها،ولا مذهب له عن التصديق بإدخال خرافات فيها لا يمكن التصديق بها،والأجدر بالكيس الورع في مثل هذا المقام إلى ما قصّ القرآن كتاب الله المنزّل على محمّد صلى الله عليه وآله من أمر آدم وحواء حيث يقول في آية 18 إلى آية 23 من سورة الأعراف **(ويا آدم اسكن أنتَ وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ورِي عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلاّ ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما انيّ لكما لمَن الناصحين، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناداهما ربهّما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما انّ الشيطان لكما عدو مبين، قالا ربنّا ظلمنا أنفسنا وانِ لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من**

الخاسرين) فانّكَ لا ترى في هذه الحكاية من الفرقان المبين إلاّ ما هو موافق للعقل مطابق للمنطق خليق بالتصديق جدير بالإذعان والقبول، حقيق بأن لا نقول فيه إلاّ الحق انه **(تنزيل من ربّ العالمين)** [1].

ثمّ نظروا في الإنجيل فرأوا فيه مارأوا في التوراة مما لا يمكن قبوله والتصديق به. قرأوا في الإصحاح الأوّل من انجيل متّى: ان يوسف النجار رجل مريم هو ابن يعقوب بن مناق بن اليعازر إلى ان أنهى نسبه إلى سليمان بن داود فكان بين يوسف وداود 25 أباً على التفصيل وقرأوا في آخر الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا: أن يوسف رجل مريم هو ابن هالي بن منثاث بن لاوي إلى ان نهى نسبه إلى ناثان بن داود فكان بين يوسف وداود (40) أباً على التفصيل، فبأي هذين الانجيلين يصدقون وبأيهما يكذبون أبانجيل متى الذي يقول: انّ يوسف النجار هو ابن يعقوب، أم بانجيل لوقا الذي يقول: هو ابن هالي، وبالذي يقول: انّه من ذريّة سليمان بن داود، أم بالذي يقول: انهّ من ذرية ناثان بن داود، والذي يقول: ان بيّن يوسف وداود 25 أباً، أم بالذي يقول: انّ بينهما 40 أباً؟

ثمّ زادوا تبيناً فقرأوا في الإصحاح الحادي عشر من مرقس: ان مباحثة اليهود للمسيح كانت في اليوم الثالث من وصوله إلى اورشليم، وفي الإصحاح الحادي والعشرين من متّى انهّا كانت في اليوم الثاني، فبأي هذين يصدقون وبأيهما يكذبون.

1- الواقعة: 80.

وقرأوا في إنجيل متّى انّ أهل أورشليم وهيرودس ما كانوا عالمين ولادة المسيح قبل اخبار المجوس وكانوا معادين له، وقرأوا من لوقا انّهم كانوا عالمين ولم يكونوا معادين له، فبأيّ هذين الإنجيلين يصدقون وبأيهما يكذبون.

وقرأوا في الباب الأوّل من إنجيل يوحنا انّه (أرسل اليهود الكهنة واللاويين إلى يحيى ليسألوه منَ أنت؟ فسألوه وقالوا: أنت ايليا؟ فقال: لستُ أنا ايليا).

وقوأوا في الكلمة الرابعة عشرة من الإصحاح الحادي عشر من انجيل متّى قول عيسى في يحيى (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا ايليا) ألا مع ان يأتي فبأي النبيين يصدقون وبأيهما يكذبون، وقوأوا في الإصحاح العشرين من انجيل متّى انّ عيسى لما خرج من اريحا وجد أعميين جالسين في الطريق وشفاهما من العمى، وقوأوا في الإصحاح العاشر من مرقس انّه وجد أعمى واحداً اسمه (بارتيماوس) فبأي الانجيلين يصدقون وبأيهما يكذبون.

وقوأوا في الإصحاح الثامن من انجيل متّى انّ عيسى لماّ جاء إلى العبر إلى كورة الجدريين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما. وقوأوا في الإصحاح الخامس من انجيل مرقس وفي الإصحاح الثالث من انجيل (لوقا) انّه استقبله مجنون واحد خارجاً من القبور فشفاه، فبأيّ الإنجيلين يصدقّون وبأيهمّا يكذبون.

وقوأوا في الإصحاح الحادي والعشرين من انجيل متّى: انّ عيسى

أرسل تلميذين إلى القرية ليأتيا بالأتان والجحش وركب عليهما وقوأوا في الأناجيل الثلاثة (ليأتيا بالجحش فأتيا به وركب عليه) فبأيّ الأناجيل يصدقون وبأيهما يكذبون.

طريفة

قال لوقا في الإصحاح التاسع عشر من إنجيله ما لفظه: "عند الجبل الذي يدعى جبل الزيتون أرسل (يعني المسيح) اثنين من تلاميذه قائلا: اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلان بها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاّه وأتيا به وإن سألكما أحد لماذا تحلاّنه؟ فقولا له هكذا: ان الربّ محتاج إليه فمضى المرسلان ووجدا كما قال لهما، وفيما هما يحلاّن الجحش قال لهما أصحابه: لماذا تحلاّن الجحش؟ فقالا: الرب محتاج إليه. وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وركبا يسوع" انتهى.

أقول: إنّ صحّ حديث لوقا في هذه الحكاية فعيسى الذي غصب الجحش ليس بإله ولا بنبي لأنّ الإله لا يحتاج والنبي لا يغصب جحاش الناس، ونحن نعلم بأن المسيح منزّه عن مثل هذا العمل لأنّه رسول من عند الله معصوم لا يظلم ولا يغصب فما يقوله لوقا ويحدّث به ليس بصحيح.

ثم نعود إلى ما كنّا فيه من تصفحّ الأناجيل لتحقيق الحق في اختلافها الدال على تحريفها فنقول: وقوأوا من الإصحاح الأولّ من إنجيل مرقس ان يحيى(عليه السلام) كان يأكل جراداً وعسلا برياً، وقوأوا في الإصحاح الحادي

عشر من إنجيل متّى: انّه كان لا يأكل ولا يشرب، فبأيّ الإنجيلين يصدقون وبأيهما يكذبون.

وقوأوا في الكلمة الثامنة والأربعين من الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متّى، وفي كلمة (44) من الإصحاح الرابع عشر من مرقس: إنّ يهوذا الذي أسلم عيسى للقتل دلّهم عليه حيث يقول (قد أعطاهم علامة قائلا: الذي اقبلّه هو هو امسكوه

فللوقت تقدّم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدي وقبلّه فقال له يسوع يا صاحب (لماذا جئت) حينئذ تقدموّا والقوا الأيادي عليه)، وقولُوا الكلمة الرابعة من الإصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا: إنّ عيسى هو الذي دلّهم على نفسه حيث يقول: فخرج يسوع وهو عالم بكلّ ما يأتي عليه، وقال لهم: مَن تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري قال لهم: يسوع أنا هو، فبأي الإنجيلين يصدقون وبأيهما يكذبون؟

فمن هذه وأمثالها من المناقضات والاختلافات اتضح جليّاً تغير الكتابين وتحريفهما حتىّ أصبح ذلك من الأمور المسلمةّ التي لا تدفع ولا يستطيع أحد إنكارها، ومن هنا نرى النبلاء والعارفين يسألون كثيراً عن وقت تغيرهما تارة وعن الأسباب الموجبة لذلك أخرى حتى انّ أمر التغير أصبح شيئاً مفروغا مًنه. وفي ليلة الخميس التاسعة من شهر شعبان سنة 1351 أقبل عليَّ شاب لا نبات بعارضيه بورقة دفعها إليَّ قائلا، أريد أن تجيبني عن هذه المسائل، فرحّبت به ثم قرأتها فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد تقبيل أياديكم أريد ان اسألكم مسائل:

(1) متى غُيرّت التوراة؟

(2) ولماذا غُيرّت؟

(3) ومَن غيرّها؟

(4) هل يوجد أخبار في التوراة قبل تغيرّها تصرّح بأنّ عيسى نبيا ّلاً إلها؟ً

(5) ولماذا جحد اليهود نبوّة عيسى بعد تواتر الأخبار عن نبيهّم موسى بأنهّ سيجيء بعده هذا النبي؟

(6) متى غُيرّ الإنجيل؟

(7) ولماذا غُيرّ؟

(8) ومَن غيرّه؟

(9) كيف عرف الراهب بحيرا وغيره من الرهبان أنّ محمدّا ًصلى الله عليه وآله وسلمّ هو الذي بشرّ به عيسى عليه السلام بعد أن كان الإنجيل مُغيرًّا مًن ذلك الوقت؟

(10) هل اعترف أحد من اليهود بنبوّة عيسى عند ظهوره تابعين قول نبيهّم؟

(11) هل كلّ مَن كان نصرانيا قًبل الإسلام كان مشركا بًالله؟

(12) ماذا تقول بخروج المسيح بعد موته بثلاثة أيام من بين الأموات؟

(13) ماذا تقول بصعوده إلى السماء بعد أربعين يوماً من خروجه من القبر برأىً من تلاميذه؟

فرأيت أن لابدّ من الجواب عن ذلك، وكيف يمكن الاعتذار والسكوت عن كشف هذه المبهمات وحلّ تلك المعضلات؟

ولذلك تعلّمنا العلم وله خلُقنا وبه أمرنا.

(انّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[1]

فشمّرت عن ساعد الجد وقلت للقلم استيقظ فقد جاء وقت العمل، والتركاض في حلبات البيان، ولكلّ وجهة هو موليها، وغاية هو قاصدها، ومرمى هو مسارع إليه، وعاكف عليه **(إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)**[2]، ورتّبته على سبعة فصول:

1- البقرة: 159.

2- النحل: 128.

الفصل الأوّل

. وفيه مباحث .

"الأوّل" أعلم رعاك الله انّ المقصود بالتوراة التي أقمنا الحجّة على تغييرها والتي قصدها السائل بقوله: متى غيرُتّ ولماذا غُيرّت ومنَ غيرهًا؟ هي عبارة عن الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى(عليه السلام) وهي: (1) سفر التكوين (2) سفر الخروج (3) سفر اللاويين (4) سفر العدد (5) سفر التثنية، والمجموع هو عبارة عن جزء من العهد القديم المؤلّف من تسع وثلاثين سفراً، هذه الخمسة المسمّاة بالتوراة، وأربعة وثلاثون منسوبة إلى الوحي لمنَ جاء بعد موسى من الأنبياء إلى ما قبل زمن المسيح بثلاثمائة وسبعة وتسعين سنة، وربّما قيل للجميع التوراة، وكما انّ الواهين قائمة على تغيير تلك قائمة أيضا ًعلى تغيير هذه الأسفار التي بعدها، ولكن لم نتعرّض لها لعدم المسؤولية عنها، ولأنّ الغرض حاصل بالكلام على هذه وحدها، لذلك اقتصرنا عليها ومن الله نستمدّ التوفيق ونسأله المعونة.

(المبحث الثاني)

ليعلم انّ النسخ المشهورة للعهد القديم عند أهل الكتاب ثلاث: الأولى

النسخة العوانية، الثانية النسخة اليونانية، الثالثة النسخة السامرية، والأولى هي الأصلية، والثانية هي المترجمة إلى اللغة اليونانية بعناية سبعين أو اثنين وسبعين من علماء اليهود وتسمّى السبعينية، والثالثة هي الأولى إلاّ انهّا لا تشتمل إلا عّلى سبعة أسفار من العهد القديم فقط الخمسة الأولى المنسوبة لموسى، وسفر يوشع وسفر القضاة وهي المعتبرة عند السامريين[1].

(المبحث الثالث)

يستدل من التوراة ان نزولها على موسى كان نجوماً في نوب متفرّقة، ابتداؤها في جبل حوريب، إذ كان موسى يرعى غنم يثرون حميه كاهن مدين، حيث تقول في الإصحاح الثالث من سفر الخروج (وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة) وانتهاؤها في جبل بنو من أرض موآب حيث تقول في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية، بعد ذكر صعود موسى على جبل بنو، وقال له الرب: هذه هي الأرض التي اقسمت لإبراهيم واسحق ويعقوب، قائلاً لنسلك اعطيها، قد أريتكَ إياّها بعينك، ولكنّك إلى هناك لا تعبر، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب.

(المبحث الرابع)

يظهر للمتتبّع المطلّع على أسفار التوراة والعهد القديم أمران:

"الأوّل" انّ موسى كتب التوراة ودفعها إلى اللاويين وأمرهم أن

1- السامريون هم المتولّدون من بني إسرائيل من الوثنيين الذين اختلطوا بهم بعد سبي بابل.

يضعوها بجانب عهد تابوت الرب، يدلّك على ذلك ما في الإصحاح الواحد والثلاثين من سفر التثنية حيث يقول في الكلمة الرابعة والعشرين إلى السابعة والعشرين منه ما لفظه: (فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأنّي أنا عارف تمردّكم ورقابكم الصلبة).

"الثاني" انّه بسبب تمردّ بني إسرائيل، وخروجهم عن طاعة الله، وتخريب ملوكهم بيت الله، وعبادتهم الأصنام من دونه سنيناً طوالا ذهبت التوراة من أيديهم، ولم يبق لها فيهم اسم ولا رسم، وهذه الهدى إلى دين المصطفى تحدثّنا عن العهد العتيق بما يثبت ما قلناه من خروجهم عن طاعة الله وتخريب ملوكهم بيت الله.

قالت في ص20 من الجزء الأوّل (ولم تمض مدةّ كثيرة من موت يوشع حتىّ فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وتركوه وساروا وراء آلهة أخرى، وسجدوا لها وعبدوا البعل وعشتاروت[1] ولم يزل بنو إسرائيل في زمن القضاة يعاودون إلى عمل الشرّ في عيني الرب[2] وبعد موت جدعون

---

1 - تجد ذلك في سفر القضاة في الإصحاح الثاني في الكلمة الحادية عشر إلى الرابعة عشر، وفي الإصحاح الثالث في الكلمة السابعة منه.

2 – تجد ذلك في الإصحاح الثالث من سفر القضاة، وفي الكلمة الأولى من الإصحاح الرابع منه، وفي الكلمة الأولى من الإصحاح السادس منه، وفي الكلمة الأولى من الإصحاح الثالث عشر منه.

رجعوا وزنوا وراء البعليم، وجعلوا لهم بعل بريث إلهاً[1]، وبعد موت باتير القاضي عادوا يعملون الشر في عيني الرب،

وعبدوا البعليم، والعشتاروت، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة عمون، وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه [2].

وحاصل شأنهم انّهم اختلطوا بالأمم المشركين وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دماً زكياً، دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وقد تدنّست الأرض بالدماء [3].

ولمّا مات سليمان انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى قسمين فتبع رحبعام ابنه سبطا يهوذا وبنيامين، وملكوه عليهم، وانعزل عنه باقي الأسباط فملكوا يربعام، فعمل لرعيته عجلي ذهب وقال هذه آلهتك يا إسرائيل، ووضع واحداً في بيت ايل والآخر في دان، وكان الشعب يصعدون إلى أحدهما حتى إلى دان [4]، واستمر بنو إسرائيل هؤلاء وملوكهم على خطيئتهم، وطريقة يربعام [5] أي العكوف على عجول الذهب التي في بيت ايل ودان [6]، حتى إذا ملك اخاب شاعت في أيّامه عبادة البعل حتى انّه كان

1- تجد ذلك في الكلمة 33 من الإصحاح 8 من سفر القضاة.

2- تجد ذلك في الكلمة 6 من الإصحاح 10 من سفر القضاة.

3- تجد ذلك في كلمة الـ 35 إلى الـ 39 من إصحاح الـ 106 من المزامير.

4- تجد ذلك في إصحاح الـ 12 من تاريخ الملوك الأوّل من العهد العتيق.

5- تجد ذلك في إصحاح الـ 15 والـ 26 من سفر تاريخ الملوك الأوّل.

6- تجد ذلك في إصحاح الـ 10 من سفر تاريخ الملوك الثاني.

للبعل أربعمائة وخمسين نبياً وللسواري أربعمائة نبي [1]، وقطعت اذابل الصيدونية انبياء الرب إلاّ من أخفاه عوبديا [2]، حتى لم يبق للرب نبي غير ايليا [3]، وحتى لم يبق من مئات الألوف العديدة من بني اسرائيل من لم يعبد البعل إلاّ سبعة آلاف أو أقل، ولعلّهم كانوا من الأطفال الذين لا يميزون هذه الأمور [4]، واستمر بنو اسرائيل على خطيئتهم، وطريقة يربعام إلى ان ملك عليهم هوشع بن ايله [5]، وفي أيامه سباهم ملك اشور واسكن في ديارهم غيرهم، وقد كانوا أخطأوا إلى الرب إلههم واتقوا آلهة أخرى وسلكوا حسب فرائض المشركين، وعبدوا الأصنام، ورفضوا فرائض الله وعهده وساروا وراء الباطل، وصاروا باطلاً، وتركوا جميع وصايا الله، وعملوا لأنفسهم عجلين، وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البعل [6].

وأمّا سبطا يهوذا وبنيامين فلمّا تثبتت مملكة رحبعام بن سليمان ترك

1- تجد ذلك في الكلمة الـ 19 من الإصحاح الـ 18 من سفر تاريخ الملوك الأوّل.

2- تجد ذلك في الكلمة الـ 14 من الإصحاح الـ 18 من سفر تاريخ الملوك الأوّل.

3 – تجد ذلك في الكلمة الـ 22 من الإصحاح الـ 18 وفي الكلمة الـ 10 والـ 14 من الإصحاح التاسع عشر من سفر تاريخ

الملوك الأوّل وفيه ان ايليا خوج هلرباً وهم يطلبون نفسه ليأخذوها.

4- تجد ذلك في الكلمة الـ 18 من الإصحاح الـ 19 من سفر تاريخ الملوك الأوّل.

5- تجد ذلك في الكلمة الـ 2 من الإصحاح الـ 22 والـ 17 من سفر تاريخ الملوك الأوّل.

6- تجده في الإصحاح الـ 17 من تاريخ الملوك الثاني.

شويعة الرب هو وكل اسوائيل معه [1] وعمل يهوذا الشر أكثر من جميع ما عمل آباؤهم، وبنوا لأنفسهم مرتفعات وانصابا وسواري من آثار الشوك على كلّ تلّ مرتفع وتحت كل شجرة خضواء، وكان أيضا مأبونون في الأرض ففعل يهوذا حسب أرجاس المشوكين [2] ، وفي السنة الخامسة لملك رحبعام نهب شوشق ملك مصر خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء [3] .

قالت الهدى ولإسوائيل أيّام كثوة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا شويعة وفي النسخة العوانية بلا توراة [4] انتهى ما نقلناه عن الهدى عن العهد العتيق وفيه كفاية لإثبات ما قلناه، وإذا فهمت ذلك كلّه من أعمال بني إسوائيل، وعوفت من الإصحاح التاسع عشر من الملوك الأوّل التصويح بأنهّم تركوا عهد الله ونقضوا مذابحه وقتلوا أنبياءه ولم يبق إلا أيليا هلربا وهم يطلبون نفسه ليأخذوها تعلم أيضاً صحّة ما قدمّناه من أنه لم يبق للتوراة فيهم اسم ولا رسم، وكيف تبقى فيهم وليست هي بأعظم منعة من أنبياء الله ولا أعظم حرمة منهم، وقد قتلوهم تقتيلا، ونُهب بيت الرب وأخذ ما فيه ولم يتركوا فيه شيئاً، فهل يتركون التوراة وهي من أكبر أعدائهم

1- تجده في الكلمة الـ 1 من الإصحاح الـ 12 من سفر تاريخ الأيّام الثاني.

2- تجده في الكلمة الـ 22 إلى 24 من تاريخ الملوك الأوّل.

3- تجده في الكلمة الـ 25 والـ 26 من الإصحاح الـ 14 من تاريخ الملوك الأوّل.

4- تجده في الكلمة الـ 3 من الإصحاح الـ 15 من تاريخ الأيام الثاني.

وأعظم مضاديهم، وهذه النسخة العوانية من تاريخ الأيام الثاني من العهد القديم تصوّح بأنّه مضى لإسوائيل أيام كثوة بلا توراة، فهل تريد شاهداً أعدل وحجّة أقوى على أهل التوراة من أسفار التوراة؟ إن في ذلك لبلاغ لقوم يعقلون.

(المبحث الخامس)

قد أثبتنا لك في البحث الرابع ذهاب التوراة من بني إسوائيل وهنا نتكلّم في هذه المسألة من جهتين "الأولى" في دعوى حلفيا الكاهن انّه وجدها في بيت الرب، "الثانية": فيما تدلّ عليه أسفار العهد القديم من ذهابها ثانيا واليك البيان.

"الجهة الأولى" "يحدثنا الإصحاح الـ 22 من (الملوك الثاني) من أسفار العهد القديم انّه لمّا ملك يوشيا بن آمون وعمل

المستقيم في عيني الرب، وسار في جميع طرق داود أبيه اشتغل بعد اثنتي عشرة سنة من ملكه بترميم بيت الرب، وانّه أرسل كاتبه شافان إلى حلفيا الكاهن ليحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب لترميم ثلم البيت وانّه قال حلفيا الكاهن لشافان الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب، وانه سلّم حلفيا السفر لشافان فقرأه، وانّ شافان قرأه أمام الملك، وان ّالملك لما سمع كلام سفر الشريعة مزّق ثيابه وانّه تقدمّ إلى حلفيا والي جماعة من الكهنة أن يسألوا الرب لأجله ولأجل الشعب من جهة تخلفهّم عن العمل بمقتضى سفر الشريعة" هذا ما أملاه علينا هذا الإصحاح، وأنت جدّاً خبير بما لهذه

الدعوى في سوق العلم من قيمة، أناشدك الله كيف تبقى التوراة في بيت الرب وقد خرّب ونهب ما فيه مرارا؟، وضلتّ إسرائيل عاكفة على أصنامها لاهية بأوثانها، بعيدة عن عبادة ربها، وكيف نصدّق حلفيا فيما زعم وليس للتوراة عندهم نسخة ثانية تُعوض عليها كما يدلكّ على ذلك ما سمعت من تمزيق الملك ثيابه حينما قرئت عليه، إليس ذلك لأنهّ سمع ما لم يكن سمعه، وماذا يمنع الملك وهو من المؤمنين من قراءتها واستماع ما فيها من قبل لو كان لها عين أو أثر، وهل كان حلفيا نبياً يجب تصديقه أو انّه كان كاهناً كسائر الكهنة الذين يجرون في هذه الأمور وأمثالها النفع لأنفسهم، وهب انهّ كان يحفظ شيئا مَن التوراة تلقاها عن أسلافه فهل كان يحفظها جميعها؟ وهل كان مأموناً على أدائها حينما حفظها؟ وهل القوم الذين نقلها عنهم وحفظها منهم كانوا مأمونين، أمور لا يمكن القطع بل ولا الظن بشيء منها، فإذا رأينا في التوراة أشياء مناقضة لحكم العقل من جهة ومخالفة لبعضها مع البعض الآخر من جهة أخرى، وعلمنا بالبرهان العقلي القطعي استحالة صدور ذلك عن الله تعالى وانبيائه وفهمنا انّ الناقل رجل كسائر الناس يجوز عليه الخطأ والكذب ايقناً انّ ذلك التغيير والاختلاف منه فإذا خَلفيا أو منَ أخذ عنه هو المغير الأوّل فاحفظه.

وكان ذلك قبل سبي بابل بقليل، وذلك ان سبي بابل كان في أيام يهيوياقيم بن يوشيا كما صرّح بذلك الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني حيث يقول (في أيامه صعد نبوخذ نصر ملك بابل فكان له

يهيوياقيم عبداً ثلاث سنين، وهو السبي الأول كما ستسمع فانتظر.

"الجهة الثانية" يحدّثنا الإصحاح الـ 24 والـ 25 من سفر الملوك الثاني أن نبوخذ نصَّر ملك بابل صعد إلى أورشليم ففتحها واستعبد ملكها يهوياقيم ثلاث سنين ثم تمرّد عليه فجاءها ثانياً في أيام يهيوياكين ابن يهيوياقيم وكان عبيده يحاصرونها فخرج يهيوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأمّه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه وأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه، وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبارة البأس عشرة آلاف سبي، وجميع الصنّاع والأقيان لم يبق إلاّ مساكين شعب الأرض وأخذهم معه إلى بابل، وملكّ عوض يهيوياكين عمهّ متنيا وغيرّ اسمه إلى صدقيا ثم تمرّد صدقيا على ملك بابل فجاءه بخت نصَّر ملك بابل في اليوم العاشر من الشهر العاشر من السنة التاسعة من ملكه ونزل على أورشليم بيت المقدس هو وكل جيشه فحاصروها إلى السنة الحادية عشر للملك صدقيا واشتد الجوع

بالمدينة، وكانت النتيجة وقوع الملك بعد هزيمته ليلاً من المدينة في يد ملك بابل، فقلَّع عينيه، وأحرق نبوزورادان رئيس الشرط عبد ملك بابل بيت الرب، وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم، وكلّ بيوت العظماء أحرقها بالنار، وهدم جميع أسوار أورشليم، وسبى أهلها، وكسَّر أعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد، وحملوها مع آنية النحاس التي كانوا يخدمون بها إلى بابل. فأناشدك الله هل يتركون التوراة وهي من أكبر أعدائهم؟ وهب

انّهم تركوها في المرّة الأولى، فهل يتركونها في الثانية؟ وهب انهم تركوها في المرّة الثانية فهل يتركونها في الثالثة وقد أحرقوا بيت الله بالنار وكسروا أعمدة النحاس والقواعد التي فيه، وهل لبني اسرائيل في ذلك الوقت حاجة في التوراة والمحافظة عليها؟ وهذا سفر الملوك الثاني يحدّثنا في الكلمة الـ 37 من الإصحاح الثالث والعشرين، وفي الكلمة الـ 9 من الإصحاح الـ 24 أن يهيوياقيم ويهيوياكين ملكا يهوذا عملا الشر في عيني الرب حسب كلما عمل آباؤهما، فهل للتوراة بقاء بعد هذا.

نعم يحدّثنا الإصحاح الثامن من سفر نحميا انّه لمّا رجعت بنو اسرائيل من سبي بابل اجتمعوا، وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب اسرائيل فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكلّ فاهم ما يسمع وقرأ فيها من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء والفاهمين، وكانت آذان كلّ الشعب نحو سفر الشريعة.

قال وفي اليوم الثاني اجتمع رؤساء آباء جميع الشعب والكهنة واللاويين إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة، فوجدوا مكتوباً في الشريعة التي أمر بها الربّ عن يد موسى أن ّبني إسرائيل في مظال فى العيد في الشهر السابع فأخذوا في عمل المظال، الأمر الذي يدلّك على انّه لم يكن عندهم نسخة من التوراة سوى التي بيد عزرا، وهل هذه هي النسخة التي أوجدها حلفيا، أو الأصلية التي كتبها موسى؟ وأين التي كتبها موسى؟ أو ثالثة أوجدها عزرا؟ خلاف بين أهل الكتاب، قال (اكليمنس

اسكنديانوس) انّ الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرّة أخرى، وقال (ترتولين) المشهور: إن ّعزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل، وقال (تهوفلكت): إنّ الكتب المقدّسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرّة أخرى بإلهام، وقال (جان مل زكا تلك) في ص115 من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة 1843 اتفق أهل العلم انّ نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بخت نصر، ولمّا ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة "انتيوكس"[1] ، فإذاً ما هذه التي هي بأيدي القوم؟ أقول المطلّع على هذه النسخ الموجودة يفهم جليا انّها عبارة عن مجموعة أبواب ألّفها المؤلفون حسب ما في أذهانهم من التوراة على نهجها وبأساليبها فأخطؤا وأصابوا، يدلّك على ذلك ما ترى فيها من الاختلاف والتناقض، هذه النسخ الثلاث المشهورة بين أيدي القوم كل واحدة منها تكذّب الأخرى وتخالفها وإليك البيان.

1 - وممّا يوضّح لك ذلك ما جاء في الباب الأوّل من الكتاب الأوّل للمقابيين ما ملخّصه (لما فتح انتيوكس) ملك ملوك الافرنج اورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعدما قطعها وأمر ان من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر فكان يقتل مّن وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق أو ثبت انّه أدى رسماً من رسوم الشريعة وتعدم تلك النسخ، قيل وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة واحدى وستين سنة وانّها امتدت إلى ثلاث سنين ونصف.

تقول النسخة العوانية: إنّ الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح الف وستمائة وست وخمسون، وتقول اليونانية الفان ومئتان واثنان وستون، وتقول السامرية الف وثلاثمائة وسبع سنين، وقد كتب هوزي واسكات في تفسيريهما جدولا بينا فيه الاختلاف

بين النسخ الثلاث في مواليد الأشخاص ما بين آدم إلى نوح، وهنا شيء أبينه فأعوني سمعك إليه، وهو انّ نوح(عليه السلام) كان عمره عند الطوفان ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث، وعاش آدم(عليه السلام) تسعمائة وثلاثين سنة، فإذا كان ما بين خلق آدم إلى الطوفان على حسب ما تقول السامرية، يلزم أن يكون نوح(عليه السلام) حين مات آدم(عليه السلام) ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة، وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العوانية واليونانية، إذ ولادته على وفق الأولى بعد موت آدم(عليه السلام)بمائة وست وعشرين سنة، وعلى وفق الثانية بعد موته بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة،ولأجل هذا الاختلاف الذي لا يمكن تطبيقه لم يعتمد (يوسيفس) اليهودي المؤرخ المشهور المعتبر عند المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة، واختار انّ المدة ما بين خلق آدم إلى طوفان نوح هي الفان ومئتان وست وخمسون سنة، أليس هذا شاهد صدق على ما نقول؟

وتقول العوانية انّ الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم(عليه السلام) مئتان واثنتان وتسعون سنة، وتقول اليونانية الف واثنتان وسبعون سنة، وتقول السامرية تسعمائة واثنين وربعون سنة، وكتب (هنري واسكات) أيضاً

الصفحة 25

جولا بينا فيه ذلك الاختلاف، وهنا أيضاً أمر فظيع فاستمع له، وهو انّ إبراهيم(عليه السلام) كانت ولادته بعد الطوفان بمئتين واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة العوانية، وعاش نوح(عليه السلام) بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة كما هو مصوح في الكلمة الـ 28 من الإصحاح الـ 9 من سفر التكوين، فيلزم أن يكون إبراهيم(عليه السلام) حين مات نوح(عليه السلام) ابن ثمان وخمسين سنة وهو باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه اليونانية والسامرية، إذ ولادة إبراهيم بعد موت نوح بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة على وفق النسخة الأولى، وبخمسمائة واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية، وهو واضح،ولأجل هذا الاختلاف الفاحش الذي لا يمكن تطبيقه اختلف المسيحيون فيما بينهم، فنبذ المؤرخون النسخ الثلاث في هذا الأمر وراء ظهورهم، وقالوا انّ الزمان المذكور من الطوفان إلى ولادة إبراهيم ثلاثمائة واثنتان وخمسون سنة، وأما (يوسيفس) اليهودي المؤرخ المشهور قال: انّ هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة، كما هو منقول في تفسير هنري واسكات واكستائن الذي كان أعلم العلماء المسيحية في القرن الرابع من القرون المسيحية أليس هذا أيضاً شاهد حق على ما قلناه.

واعلم انّ النزاع في معرفة من غير التوراة قائم على قدم وساق منذ قرون عديدة.

قال في إظهار الحق بعد ذكر اختلاف العوانية والسامرية في أمر موسى ببناء الهيكل على جبل عيبال أو على جبل جرزيم، فالعوانية تقول: (فإذا

الصفحة 26

عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم اوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييدا)، والسامرية تقول: (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جرزيم)، قال وبين اليهود والساميين سلفا وخلفا نزاع مشهور يدعي كل فرقة منهما انّ الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هذا المقام، وكذلك بين علماء البروتستانت خلاف في هذا الموضع، قال مفسرهم المشهور (ادم كلارك) في صفحة 817 من المجلّد الأول من تفسيره: إنّ المحققّ (كني كات) يدعي صحة السامرية، والمحقق (بلري

ودرشيور) يدعيان صحّة العوانية، وقال هورن في المجلّد الثاني من تفسوه في بيان التوجمة اليونانية، وكانت هذه معتوة في معابد اليهود في أوّل القون، ثمّ لماّ استدل ألمسيحيون عليهم من هذه التوجمة أطالوا السنتهم على هذه بأنها ليست موافقة للمتن العوي، وجعلوا في ابتداء القون الثاني يسقطون الفوات الكثوة منها، ثمّ توكوها واختاروا توجمة (ابكوتلا)، ولماّ كانت مستعملة في اليهود إلى أوّل القون المسيحي وفي المسيحيين إلى مدّة فكثوت نقولها ووقعت فيها الأغلاط بسبب تحويف صدر عن اليهود قصدا وكذلك بسبب غلط الكاتبين ودخول عبلة الشوح والحاشية.

وقال (داود) من علماء كاتلك في صفحة 18 من كتابه المطوع سنة 1841 إنّ ملحدي الشوق حوفوها، وعلى كلّ حال، فالتحويف واقع والمحوف احد من ذكوناه، إمّا السبب الداعي للتحويف فلاريب انّه غير محصور، وقد أشونا إلى بعضه آنفاً، والمنقول عن المجلد الأوّل من تفسير

الصفحة 27

(هنوي) و(اسكات) ان (اسكتاتن) كان يقول: إنّ اليهود قد حوفوا النسخة العوانية في بيان زمان الأكابر الذين قبل زمان الطوفان وبعده إلى زمن موسى(عليه السلام)، وفعلوا هذا الأمر لتصير التوجمة اليونانية غير معتوة، ولعناد الدين المسيحي قيل وانّ القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله، وكانوا يقولون انّ اليهود حوفوا التوراة في سنة 130 من السنين المسيحية، وعلى كلّ حال قد اتّضح لك على سبيل الإجمال الجواب عماّ سألت.

وملخّصه انّ التوراة التي جاء بها موسى من عند الله تعالى التي هي عبلة عن الأسفار الخمسة كما نوعمون قد ثبت من أسفار العهد العتيق المعتبر عندهم انّ موسى كتبها ووضعها بجانب تابوت عهد الوب قبل وفاته، وانهّا ضاعت منهم في أيام خروجهم عن طاعة الله وعكوفهم على عبادة الأصنام وتخويب بيت عهد الوب، وإنّ ما ادّعاه حلفيا من وجودها في البيت انمّا هو زعم منهم لم يثبت بحجّة والاعتبار ينفيه، ثمّ انّ هذه التي أتى حلفيا بها ثبت أيضا انّها ضاعت في سبي بابل، وان مّا ادعوه من إتيان عزرا بها انّما هي دعوى منهم لم تثبت بوهان، ثم انّ هذه التي اتى بها عزرا أيضا ثبت انها ذهبت منهم في حادثة (انتيوكس) ملك ملوك الافونج، وإنّ هذه التي هي بأيديهم انمّا هي مجموعة ألفهّا المؤلفون فأخطؤا وأصابوا ومع ذلك لم تسلم من أيدي المحوّفين والمغويين وانهم اليهود نوعم المسيحيين، وإنّ الغوض من ذلك عنادهم، وانهّ في سنة 130 من السنين المسيحية فافهم.

الصفحة 28

الصفحة 29

الفصل الثاني

وفيه الجواب على السؤال الوابع والخامس وهما:

(1) هل يوجد إخبار في التوراة قبل تغوّها تصوّح بأنّ عيسى نبي لا إله؟

(2) لماذا جحد اليهود نبوّة عيسى بعد تواتر الأخبار عن نبيهّم موسى بأنهّ سيجيء بعده هذا النبي؟ فهنا بحثان:

"الأوّل" قد علمت ممّا تقدمّ انه ّليس لنسخة التوراة الصحيحة السالمة من التحريف بأيدي الناس منها عينولا أثر، ويشهد لذلك صريحاً، مضافاً لما اسلفناه الكلمة السادسة والثلاثون من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر (إرميا) من أسفار العهد العتيق وهذا لفظها "أمّا وحي الربّ فلا تذكروه بعد لأن ّكلمة كل إنّسان تكون وحيه، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهاً"، والكلمة الثامنة من الإصحاح الثامن من "إرميا" وهذا لفظها: "كيف تقولون نحن حكماء، وشريعة الرب معنا، حقاً ًانه ّإلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب"، والكلمة الخامسة عشر إلى السادسة عشر من الإصحاح التاسع والعشرين من سفر اشعيا من أسفار العهد العتيق وهذا

لفظها: "ويل للذين يتعمّقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون من يبُصرنا، ومنَ يعرفنا، يالتحريفكم" ومعنى هذا الكلام التعريض بالكتبة والمعلمين منهم والاستغاثة من تحريفهم اتباعاً للهوى وتزلفاً لأبناء الدنيا، وكيف كان فقد ثبت قولنا انّه ليس لنسخة التوراة الصحيحة السالمة من التحريف بأيدي الناس عينولا أثر.

أمّا المنقول لنا عنها بالأسانيد إلى النبي أو إلى الأئمة المعصومين سلام الله عليهم جميعاً من كلماتها الدالة على ما طلبت من أن عيسى نبي لا إله لا تعتوه النصارى حجّة عليهم،ولا تأخذه بيد القبول منأولا منهم، وماذا تريد ويريدون من التوراة التي لم تغيَّر؟وهذه التوراة الموجودة بأيديهم، بل العهد العتيق والجديد كلاهما مع ما طرأ عليهما من التحريف والتبديل يفصحان لك عمّا أردت، ويصرحان بوحدانية اللهوانّ المسيح رسولا لا إله، وحسبك بهما دليلا على ما طلبت كافياً،وبرهانا عًلى ما أردت شافياً، أليس بقاؤها بعد التحريف والتغيير مع مضادتها لما عليه من التثليث دليل على انهّا بلغت من الكثرة مبلغا لَم يتمكنوّا من تغييرها؟وحلّت من الصحّة محلا لَم يقدروا معه على تحريفها وتبديلها،وهذه هي أوردها إليك بألفاظها، كاشفا لَك عن مواضعها، لتعلم انّا لا نقول إلاّ الحقولا نهدي إلا ّإلى سواء السبيل.

قالت التوراة في الكلمة الرابعة من الإصحاح السادس من سفر التثنية: "اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا ربّ واحد" وقال الزبور في الكلمة الثالثة

عشرة من إصحاح المائة والثمانية والاربعين (ليسبحوا اسم الرب لأنّه قد تعالى اسمه وحده)، وفي الكلمة الثامنة عشر من الإصحاح الثاني والسبعين منها أيضاً (مبارك الرب إله اسرائيل الصانع العجائب وحده) وقال انجيل يوحنّا في الكلمة الثالثة من الإصحاح السابع عشر: (وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وخدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)، وقال انجيل لوقا في الكلمة الثامنة من الإصحاح الرابع: (للرب إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد)، وفي الكلمة الثامنة عشرة من الإصحاح الثامن عشر منه أيضاً (ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله)، وقال انجيل متىّ في الكلمة السادسة عشرة من الإصحاح التاسع عشر عن عيسى: (لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله)؟ وقال انجيل برنابا في الكلمة الخامسة عشرة من

الفصل الخامس والتسعين: "قال يسوع انّه مكتوب هناك . يعني في العهد العتيق . انّ إلهنا في كل مكان وان لا إله سواه" هذه قطرة من بحر، وغيض من فيض ممّا يدلّ على أحديّة الله تعالى شأنه ونبوّة المسيح(عليه السلام) من العهدين.

وإذا شئت ان ترجع إلى القول الفصل والحكم العدل من القرآن المنزّل على محمّد(صلى الله عليه وآله) فإليك آية مائة وواحد وسبعون من سورة النساء:

(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق انّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) التي حصل بسببها انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون "وروح منه"

نفخة من رسوله جبرائيل إلى مريم في قميصها وهو من الله لانّه بأمره **(فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انّما الله إله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا)**.

وآية خمس وسبعون من سورة المائدة **(ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انّى يؤفكون)**.

وآية اربع وستون من سورة آل عمران **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)**.

هذا هو القول الفصل، هذا هو الكلام الجزل، هذا هو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد **(فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبّعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)**.

(البحث الثاني)

من الغريب ان يسأل لماذا جحد اليهود نبوّة عيسى بعد تواتر الأخبار عن نبيّهم موسى بأنّه سيجيء بعده هذا النبي، وهل تواتر الأخبار أبلغ في الدلالة على نبوّته من المعجزات التي أظهرها، ثمّ متى صدق الناس كلهم بالأنبياء مع توفرّ الأدلة والإتيان بالبراهين القاطعة.

فهل آمن الناس بنوح إذ جاءهم بالطوفان؟ وهل صدّقوا بإبراهيم إذ كانت النار عليه برداً وسلاماً؟ وهل أذعنوا لموسى إذ جاءهم بالعصا تلقف ما يأفكون؟ وهل قبلوا من محمّد(صلى الله عليه وآله) إذ جاءهم بالقرآن المبين؟ **(كلّما جاء أمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضا . وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون)**[1] ، فإن كنت أيّها الشاب النبيه لطهارة قلبك وصفاء باطنك ترى أنّ من الغريب النكوص عن الحق بعد قيام الدليل عليه، ووضوح الحجّة لديه، وترى انّه لابد في النكوص عنه والجحود له من سبب معقول، وداع مقبول، فأنت تسأل عن ذلك السبب، وتبحث الوقوف على ذاك الداعي فأعني سمعك لما يتلى.

اعلم هداك الله إلى رشدك انّ الناس على قسمين خاصّة وعامة،ولاريب ان القسم الثاني تابع للأول ّغالبا، فمنه يأخذون وعلى رأيه يعتمدون.

ثمّ اعلم انّ للخاصة مفسدتين عظيمتين ومهلكتين كبيرتين كلماّ نجا أحدهم من مهلكة وقع في أخرى، وهما الحسد والاستكبار، بهما هلكت الأمم ومنهما ضلّت، قال الله تعالى فيما قصّ علينا من سورة البقرة بشأن ابليس:

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) [2].

وقال تعالى فيما قصّ علينا من سورة المؤمنون بشأن نوح:

1- المؤمنون: 44.

2- آية 34.

(ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ان هو إلارّجل به جنة ّ فتربّصوا به حتّى حين) [1].

وقال تعالى فيما قصّ علينا منها بشأن غيره **(وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذّبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما ّتشربون، ولئن اطعتم بشرا مّثلكم انكمّ إذا لخاسرون)** [2].

وقال تعالى فيما قصّ علينا منها بشأن موسى وهارون:

(ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) [3].

وقال تعالى فيما قصّ علينا من سورة الإسراء بشأن محمّد(صلى الله عليه وآله) **(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى أكثر الناس إلاّ كفورا، وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ً أو تكون لك جنةّ من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا ً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في**

1- آية 23 ـ 25.

2- آية 32 . 33.

3- آية 45 . 47.

السماء ولن نؤمن لرقيك حتّى تنزّل علينا كتابا نّقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشّرا رسّولا، وما منع الناس أن يؤمنوا

(1)

إذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا) .

وهذا الصدّيق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) يحدّثنا بشأن محمدّ(صلى الله عليه وآله) وقريش بقوله: "ولقد كنت معه(صلى الله عليه وآله) لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمدّ انكّ قد ادعيّت عظيما لمً يدعهّ آباؤك،ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً ان اجبتنا إليه وأريتناه علمنا انكّ نبي ورسول،وان لم تفعل علمنا انكّ ساحر كذابّ، فقال(صلى الله عليه وآله): وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال(صلى الله عليه وآله): إنّ الله على كلّ شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك اتؤمنون، وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإنيّ سأريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم انكم لا تفيئون إلى خير، وانّ فيكم منَ يطرح في القليب، ومنَ يحزبّ الأحزاب ثم قال(صلى الله عليه وآله): يا أيتها الشجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر فتعلمين إنيّ رسول الله فانقلعي بعروقك حتي تقفي بين يدي بإذن الله، والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتّى وقفت بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله)مرفرفة، والقت بغصنها الأعلى على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه(صلى الله عليه وآله). فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا

1- آية 89 ـ 95.

علوّاً واستكبارا: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دويا، فكادت تلتف برسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقالوا كفواً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع الله نصفه كما كان، فأمره رسول الله(صلى الله عليه وآله)فرجع، فقلت أنا: لا إله إلاّ الله، فإنيّ أولّ مؤمن بك يا رسول الله وأولّ من أقر بأن الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك، واجلالا لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل ساحر كذابّ عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقكّ في أمرك إلا مثل هذا (يعنوني) وإنّي لمَن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقّين، وكلامهم كلام الأبرار، عمارّ الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل".

فتبين لك من هذا الكلام الشريف انصراف الناس عن الإيمان بالأنبياء، المسيح وغيره سبب العتو والاستكبار، وعلى هذا العتو نسلت القرون وبموديات ذلك الاستكبار تهاوت، يتلو بعضها بعضاً والله تعالى يقول: **(حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذ هم يجئرون، لا تجئروا اليوم انّكم منّا لا تبصرون، قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون، مستكبرين به سامرا تهجرون، أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آبائهم الأوّلين، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون، أم يقولون به جنّة بل جاءهم**

بالحق وأكثرهم للحق كارهون) [1] .

وان لم يقنعك في الوقوف على هذه الحقيقة إلاّ ما ينصّه الإنجيل من أمر عيسى، فلاحظ الكلمة الرابعة عشرة من الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متّى، والكلمة الخامسة عشرة من الإصحاح الواحد والعشرين منه، والكلمة السابعة عشرة من الإصحاح السابع والعشرين منه أيضاً، وفيه التصريح بأنّ اليهود أسلموه للصلب زعم متّى حسدا.

وهذا هو السبب الذي منع النصارى ومشركي قريش في الصدر الأوّل من الإيمان بمحمّد(صلى الله عليه وآله)، ثمّ على هذا المنوال نسج المتأخّرون، وعلى ذلك الطريق حباً بالرئاسة وايثارا للهوى ساروا، وهذه معجزاته آيات بيناتٌ باقية ما بقي الدهر ودائمة بدوام الله لم تبل الأيام جدَّتها، ولا أخلقت الحدثان نضارتها، ولا أثّرت فيها نزوات الملحدين، ولا غيّرت عليها افتراءات المفترين، قد أقعت البلغاء عن مجاراتها، وتقاعست الفصحاء عن مباراتها، واعترفت بالعجز بعد التحدّي والطلب، واقرّت بالنقص بعد العناء والنصب، والله تعالى شأنه يناديهم بقوله:

(وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسوره من مثله وادعوا شهدائكم إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين) [2].

1- المؤمنون: 65 ـ 71.

2 – البقرة: 23 . 24.

الفصل الثالث

نقرئك في هذا الفصل جملاً في أحوال الإنجيل ونسخه وناسخيه ليتبين لك الجواب على مسائلك الثلاث وهي [1] متى غُيّر الإنجيل؟، [2] ولماذا غُيّر؟، [3] ومَن غيّره؟ فاستمع لما يتلى:

"الجملة الأولى" يحدّثنا الإنجيل على اختلاف نسخه انّه هو عبارة عن حكاية أحوال عيسى، وخطبه وكلماته، التي كان يسأل فيجيب بها، مبتدأ بذلك من حين ولادته إلى حين صلبه كما زعمون، والحاكي لذلك على ما يُدّعى (متىّ) تارة، (ومرقس) أخرى، (ولوقا) ثالثة، (ويوحنّا) رابعة، فالنسخ المشهورة للإنجيل بين أيدي أهل الكتاب إذاً أربع كما فصلنا، ولا نحتاج في هذه الجملة لوضوحها إلى برهان.

"الجملة الثانية" هل يجب الاعتماد على نقل هؤلاء الأربعة والركون إليهم فيما حدّثوا ونقلوا عن المسيح(عليه السلام)؟ أو انّ مثلهم في ذلك مثل المؤرخين الذين ينقلون إلينا من أحوال محمّد(صلى الله عليه وآله) وسيرته وآياته ومعجزاته.

لا ريب بأن مثلهم في ذلك مثل سائر المؤرخين ونقلة الأخبار، فإذا كان

الواجب تصديق هؤلاء الأربعة فيما نقلوا من أحوال عيسى(عليه السلام) وسيرته على كلّ حال، فالواجب تصديق أولئك المؤرخين فيما نقلوا من أحوال محمّد(صلى الله عليه وآله) ومعجزاته على كلّ حال، فيلزم المسيحيين على هذا وجوب الإيمان

بمحمّد(صلى الله عليه وآله) من الطريق الذي وجب عليهم منه الإيمان بعيسى(عليه السلام)، وإذا كان لا يجب تصديق النقلة والمؤرخين فيما ينقلونه ويروونه من أحوال محمّد(صلى الله عليه وآله)، فلا يجب أيضاً تصديق هؤلاء فيما ينقلون ويروون من أحوال المسيح(عليه السلام)، فيلزم المسيحيين على هذا الاشتراك معنا في عدم وجوب التصديق بهذه الأناجيل، وخلاصة ذلك انّه لا مناص لهم عن أحدّ أمرين، أمّا وجوب التصديق بالرواة ونقلة الأخبار على كل حال، أو عدم وجوب التصديق، فإن قالوا بالوجوب لزمهم وجوب التصديق والإيمان بمحمّد(صلى الله عليه وآله)، وإن قالوا بعدم الوجوب لزمهم عدم وجوب التصديق بهذه الأناجيل والنتيجة على كلّ حال عدم وجوب العمل على طبقها، أمّا لوجوب العمل على شريعة محمدّ(صلى الله عليه وآله)، أو لأنّ هذه لم يثبت صحتّها فتدبرّ.

ويمكن أن أزيدك بياناً وأعينك على إيضاح الحق بنحو لا يبقى فيه مجال للشك، ولا مسوح للارتياب فاسمع واغتنم.

تحقيق علمي

اعلم انّ الأخبار المنقولة لنا في أحوال محمدّ(صلى الله عليه وآله) وبيناته ومعجزاته من غير القرآن الكريم على أقسام منها ما هو متواتر، ومنها ما هو محفوف

بقرائن أفادت القطع بصدوره، ومنها ما لم يبلغ هذه الدرجة ولكن رواته رجال معروفون بالصدق والتقوى، ومنها ما لم يكن له حظّ بشيء من الأمور الثلاثة، ولا نصيب له بقسم منها.

أمّا ما كان من قبيل الأول والثاني، فلاريب بوجوب تصديقه والعمل على طبقه، وأمّا ما كان من قبيل الثالث، فقد وقع الاختلاف فيه بين أهل العلم، فمِن قائل بوجوب التصديق، ومِن قائل بعدمه، وليس هنا موضع تحقيق الحق فيه.

وأمّا ما كان من قبيل الرابع، فلاريب بعدم وجوب التصديق به، وكيف يجب التصديق بخبر لا نعرف صدقه من كذبه، ولا نرى خطأه من صوابه، ومن أعظم جريمة ممّن ادّعى على الله انهّ قال شيئا ولم يعلم انه قاله، أو أمر عنه بشيء ولم يعلم انه أمر به، وأعظم من ذلك جريمة وأكبر فرية مَن ادّعى على الله أو على أحد أنبيائه انهّ قال شيئا وهو يرى الأدلة قائمة على انه لم يقله، ويزعم انّه أمر بشيء وهو يرى الراهين قائمة على انّه لم يأمر به، والأناجيل المشهورة يارعاك الله من هذا القسم، فإنّ القرائن قائمة والأدلّة مستفيضة على انهّا ليست من عند الله، ولا هي من المسيح رسول الله وانمّا هي عن جماعة كتبوها في أحوال المسيح(عليه السلام) قامت الأدلّة على عدم صحتّها واليك البيان:

"الجملة الرابعة" يحدّثنا التاريخ المسيحي انّ العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، قال (لاردنر) في المجلد الثالث من تفسيره في

ذيل بيان فرقة ماني ناقلاً عن (اكستائن) قول (فاستس) الذي كان من أعظم علماء هذه الفرقة في القرن الرابع من القرون

المسيحية، "قال (فاستس) أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر، وغيّروا صورته الحسنة وأفضليته، لأنّ هذا الأمر محقّق ان هذا العهد الجديد ما صنفهّ المسيح ولا الحواريون بل صنفهّ رجل مجهول الإسم، ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً عن انّه لا يعتبر الناس تحريره، ظانين انهّ غير واقف من الحالات التي كتبها" ومما يشير إلى هذا أيضاً ما في رسالة بولس من العهد الجديد إلى أهل غلاطية:

قال في الكلمة السادسة من الباب الأوّل من تلك الرسالة ما لفظه "ثم إنّي أعجب من أنكّم أسرعتم بالانتقال عمنّ استدعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، وهو ليس بإنجيل، بل ان معكم نفراً من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح" فانّها مصرحة بوجود غير إنجيل المسيح، فإذا ضممت إليها ما أسلفناه من اختلاف هذه الأناجيل وتناقضها فيما بينها، لم يبق عندك شك انّ هذه الموجودة من ذاك، وهل يمكن التصديق بكتاب يشهد على المسيح وهو من أعاظم أنبياء الله ورسله بأنه ظالم[1] وكاذب[2] وشريب خمر[3]؟ وهل يختلج الريب بعد هذا بأنّه لا

1- راجع الكلمة التاسعة والعشرين إلى الإحدى والثلاثين من الإصحاح التاسع عشر من (لوقا) لترى حديثه عن المسيح بارسال تلميذيه ليأتياه بالجحش وقوله لهما إن سألكما أحد فقولا له الرب محتاج إليه، أترى ان حاجته إليه تبيح له أخذه.

2 – ترى في الكلمة الثامنة إلى الحادية عشرة من الإصحاح السابع من (يوحنا) انّ المسيح قال لست أصعد إلى العيد ثم صعد أليس هذا كذب.

3 – تجد في الإصحاح السابع من انجيل لوقا ما نصّه (جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان جاء ابن الانسان . يعني عيسى . يأكل ويشرب فتقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر).

من الله ولا من المسيح كما قال (فاستس)؟

وخلاصة ما حرَّرناه من هذه الجمل الأربع انّ هذه النسخ المشهورة بين أيدي المسيحيين المعبر عن أحدها بإنجيل (متىّ) وعن الثانية بإنجيل (مرقس)، وعن الثالثة بإنجيل (لوقا)، وعن الرابعة بإنجيل (يوحنا)، إنّما هي كتب في أحوال عيسى(عليه السلام)اسندت لهؤلاء الأربعة ولم يثبت إسنادها إليهم، بل قد عرفت الشهادة من مؤرخيهم المعتضدة بالبرهان على نفيها عنهم، ولو فرض صحّة إسنادها إليهم، فما هي إلاّ كسائر كتب المؤرخين ورواياتهم التي قامت الأدلةّ على عدم صحتهّا وعدم صدقها، اللّهم إلاّ ما كان منها دالاّ على توحيد الله تعالى وكاشفا عن ان المسيح(عليه السلام)رسول من قبل الله، وانه جاء مبشرا بمحمّد(صلى الله عليه وآله)، فإنّ ذلك لقيام الأدلةّ على صحتهّ مقبول وهو أقل قليل.

وفهم أيضاً من كلمة (بولس) السابعة انهّ كان في أيامّه إنجيل يدعى انجيل (المسيح)، وان القوم كانوا بصدد تحريفه في ذلك الوقت، ولكن لا وجود له اليوم لا محرّفاً ولا بغير تحريف، ومع هذا البيان الشافي يسقط السؤال (متى غيرّ الإنجيل، ولماذا غيّر، ومَن غيرَّه) وذلك ان السؤال عن

عارض الشيء فوع وجوده، وانجيل المسيح لا وجود له فتدبّر.

الفصل الرابع

يُسأل (كيف عرف الراهب بحيرا وغيره من الرهبان ان محمدًا(صلى الله عليه وآله) هو الذي بشرّ به عيسى(عليه السلام) بعد إن كان الإنجيل مغيّراً من ذلك الوقت)، كأنّ السائل يرى ان علم ذلك كان محصورا فيّ الإنجيل، فإذا ذهب الإنجيل ذهب ذلك العلم، ولم يفهم انّ الله تعالى إذا أراد الدلالة على شيء أو كان من حكمته الإرشاد إليه لا تعارض حكمته ولا يكون خلاف إرادته ولو كره الكافرون.

أعلم أيّها السائل انّ الله تعالى شأنه أراد بمحمدّ(صلى الله عليه وآله) بشرا فيّ عباده ونذرا، وهاديا إليّه بإذنه وسراجا منيرا، أراد الله أن يستنقذ بمحمّد(صلى الله عليه وآله)عباده، ويملأ بنوره أرضه وبلاده، فأكثر من الأدلة عليه، وأوضح من الهداية والإرشاد إليه، حتّى لم يكن ليعمى عن ذلك إلاّ أعمى، لا يجهله إلا غبي جاهل، ويمكنني أن أكثر لك من الشواهد على ذلك وأوضحه، لولا خوف الإطالة، وحصول الملل منك على نحو يوجب حرمانك من فهم ما تريد وأريده لك، فمن هنا أرى أنّ الاقتصار على بيان كيفية إيمان الراهب الجليل بحيرا أمثل وأفضل، فإنّها تنتهي بك إلى ما أردناه ومن الله التوفيق.

محمّد(صلى الله عليه وآله) وبحيرا

يحدّثنا التاريخ انّ إيمان بحيرا بمحمدّ(صلى الله عليه وآله) كان عن علم بصفات محمد(صلى الله عليه وآله)وخصائصه من كتاب كانوا يتوارثونه رهبان تلك الصومعة فيما بينهم، حتّى إذا جاء محمدّ(صلى الله عليه وآله) إلى الشام مع عمة أبي طالب قيل في سنة ثمان من مولده رأى منه بحيرا ما كان يعلم من صفاته وخصائصه، رآه وقد أشرف عليه من صومعته والغمامة تظلّله، وما يمرّ به يسجد له، والشجرة قد هصرت أغصانها عليه لما نزل تحتها، ودعاه مع منَ معه إلى إطعامه، فلما جاءوا جعل يلحظ رسول الله(صلى الله عليه وآله) لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده الشريف كان يجدها عنده، وسأله حينما تفرّق القوم عن أشياء في حال يقظته ونومه فأخبره رسول الله(صلى الله عليه وآله) عنها، فكان يجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه، ومن هنا قال لمَن معه من أشياخ قريش وقد أخذ بيده (هذا سيدّ العالمين، هذا رسول ربّ العالمين)[1] لم يمنع بحيرا عن الإيمان بمحمّد(صلى الله عليه وآله) حينما رأى ما رأى خوفاً على رياسة، ولا حرص على منزلة عند قومه ومكانة، بل أخذ يبشّر بمحمدّ(صلى الله عليه وآله) ويقول لمنَ معه انيّ أرى ما لا ترون واعلم ما لا تعلمون، وان تحت هذه الشجرة لغلاماً لو كنتم تعلمون منه ما اعلم لحملتموه على أعناقكم حتّى تردوه إلى وطنه[2] ، هذا شأن ذوي النفوس الحية، هذا طريق

1- تجد ذلك في صفحة 195 من الجزء الثاني من تاريخ الطبري.

2- تجد ذلك في صفحة 60 من سادس البحار.

الصفحة 46

أصحاب الضمائر الحرة، التي لا تريد ان تجعل الدنيا ثمناً لأنفسها،ولا عوضاً عن حريتها، فإنهّم لا يزالون يدفعون بأنفسهم في معامع الوغى إظهاراً للحق، ويلقون بها بين سمر القنا وبيض السيوف ردعاً للباطل وقمعاً لأهله غير مبالين، فإذا احببت ان تكون منهم فكن.

ويمكن ان اذكر لك هذه المسئلة بنحو أوسع واثبتها لك من أقلام كتبة المسيحيين تأكيداً لإيمانك بها، وإخراجاً للشك من نفسك فيها، فاستمع.

قال الياس ابو غنام في صفحة 18 إلى ص... من الجزء الأوّل من كتاب الواهين الجلية، حاكياً عن أحد الرهبان بيان سبب إيمانه بمحمّد(صلى الله عليه وآله)لقيصر الروم عند دخوله بيت المقدس، ومجيء كتاب محمّد(صلى الله عليه وآله) يدعوه فيه إلى الإسلام، والحديث طويل.

قال عن ذلك الراهب (منذ نيف وأربعين سنة كان يقيم في دير صغير في مدينة بصرى راهب اسمه بحيرا كان على جانب عظيم من علم الفلك والطوالع والحكمة، واسمه الأصلي يوحّنا، ولكن الكلدانيين لقبوه بحيرا يعني العالم المدقّق، لقبوه بذلك لطول باعه في جميع العلوم، والبعض يظنون انّه ساحراً نظراً لقوّة نواسته وحسن نظره، وكان بيني وبين هذا الراهب صداقة قويّة حيث صحبته سنيناً طويلة وكان مؤنسي في وحشتي واستاذي في حياتي، وله القدح المعلى في المبادىء والآداب، وما زلت أعجب به وأتحدّاه وأسير في أثره إلى هذا اليوم) ثم ذكر عن ذلك الراهب حكايته عن ورود قافلة من الحجاز فيها محمّد(صلى الله عليه وآله) واجتماع بحيرا به ثم رجوعه إلى

الصفحة 47

صومعته، وقوله بعد تأمّل طويل (هذا الذي ملأ عنه موسى أكثر أسفار التوراة وبشّر به اشعيا وارميا وحجي وزكريا، هذا الذي تكلّم عن مجيئه المسيح بأبهى نور تجلّى عليه، ودانيال أشار إليه بمناظر مختلفة، وحجي قال (انّ مجيئه هو النعيم الأعظم).

قال ثمّ انّه خرج من الدير، وخلا برئيس القافلة، وحادثه مليا ًوسرا، ًثم انفرد بالغلام وصار يكلمهّ فلم اسمع من حديثهما شيئاً، ثمّ رجع إلى غرفته وكان يردّد مثل هذه الكلمات، دانيال يقول (انه ّستجتمع به كلمة العرب، ويقوى أمرهم ويشتد أزرهم فيذللون أبناء عمّهم بني اسحاق ويتسلّطون عليهم أحقابا ًمتطاولة، ودينه يسود على كل الأرض، وكل الأمم تطويه، وتتبارك فيه، وانّه سيعيد للعبادة رونق الخشية والوقار. وفي زبور داود يقول انّه سيملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، وتخضع له كلّ الأمم، وتجثوا له كل ركبة، ويؤتى بملوك الأرض أسرى قدامه، ويوثق رؤساءهم بالقيود. ثم أجرى الكلام في مناقشات طالت بينهما لا غرض لنا بذكرها، ثمّ رجع إلى كلام الراهب بحيرا مع صاحبه بشأن محمّد(صلى الله عليه وآله)، اعلم انّ هذا الغلام سيجتاح عروش الملوك أصحاب التيجان، ويقلب بلاد الله الواسعة، ويجعل سافلها عاليها وعاليها

سافلها:

هو قائد الخيل العتاق خزراً إلى لحظ السنان الأخزر
شوازبا

هذا هو النبي الذي أخبرت عنه الكتب المقدّسة، والمرموز عليه في إيمان كلّ أمةٌ على وجه الأرض، هذا الذي سينشر رسالته في مشارق

الأرض ومغاربها ويغيّر مجرى العمران، ويجعل أمّته أن تطأ هام الممالك وتصبح مركز هيبته يدار عليه احترام الشعوب، وموضوع عظمة يحمل عليه حسد الأمم، ويمتد بساط سطوتها في مشارق الأرض ومغاربها، ويكتب لها التاريخ بأحرف من نور آيات فتحها الزاهر، ومظاهر مجدها الباهر، كما قيل:

وتبني بحدّ السيف مجداً على هامة العلياء بين
مشيدا الكواكب

وتقيم الشرائع والروابط حتّى لا يعدّ أحد من البشر قادرا أن يعيش خارجا عن نطاقها فتجعل لنفسها ربط العالم بأسره.

هذا هو النبي الإسماعيلي المنبأ عنه بالكتب المتزلة انّه سيقرّ في الأفئدة عواطف الدين الخامدة، ويرد جماح الأميال المنحرفة، وانّه يكون سيداً قديراً، ومشترعاً عظيما، يسود الأمم بعصا من حديد، ويوثق الرؤساء بالقيود، ويعلم الناس بأي روح يخدمون الله ويعامل بعضهم بعضاً، ثمّ قبض على يدي وقال اتبعني ثم مشى بي إلى غرفة صغيرة، وأجلسني بقرب طاولة عليها رقوق قديمة وتناول رقاً منها وقرأ ما يأتي: هو ذا عبدي بعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً هكذا ينطح أمماً كثيرين، من أجله يسد ملوك أفواههم، ويرفع يده على الأمم، ويقيم راية للشعوب، يسجدون له ووجوههم إلى الأرض، ويلمسون تراب قدميه، ثم قرأ وعد الله لهاجر كما هو مصرح بسفر التكوين (هاجر هاجر قومي احملي الغلام وشدي يدك به إنّي سأجعله أمّة عظيمة).

ثمّ التفت لي وقال: اعلم يا بني انّ كلمة الله لا ترجع إليه فارغة لأنهّ ما سبق ووعد به عن لسان انبيائه لابد أن يتم بحروفه ثمّ قال:

فهذا هو الوقت الذي تعين لإتمام المواعيد الإلهيّة، وهذا هو النبي الموعود بصدقها عليه، نعم هو بعينه الذي سبقت الأنبياء

وبشرت به، وتنبّأت عنه به بقوة الروح القدس، ورنم له المؤمنون تسبيحاتهم ونظروا إلى مجيئه، وتحدثوا بعظمته، فلم يستطع نبي منهم أن يلقي قلم الوحي من يده من دون ان يكتب عنه شيئاً، إمّا تصريحاً وإما تلميحاً، لأن الأدلة على نبوته عديدة وقوية جداً في التوراة والإنجيل.

ثمّ قرأ بسفر التثنية فصل 33 (جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير وتلألأ من جبل فاران)، ثم نقل عنه تفسيرها قال فقوله (جاء الرب من سيناء) أي أعطى الشريعة لموسى على جبل سيناء، (وأشرق الرب من ساعير عنى إعطاء الشريعة المسيح على جبل ساعير، (وتلألأ من جبل فاران) عنى عن إعطاء شريعة ثالثة لهذا النبي الإسماعيلي على جبل فاران، الواقع في بلاد العرب حيث سكن جده إسماعيل قبلا كما هو منصوص بسفر التكوين فصل 21.

المعنى انّ النور الذي أشرق على سناء وساعير سيشرق أيضاً على فاران، ثم قرأ ما جاء في إنجيل يوحنّا إصحاح 14 آية 16 وهو قول المسيح لتلاميذه (إن كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي، وانا أطلب من الأب

فيعطيكم بارقليطا[1] آخر، ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم انّه يقبله، وأيضاً آية 26 التي نصها: وإمّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكلّ ما قلته لكم. أيضا قرأ في الإصحاح الخامس عشر (الآية الخامسة والعشرون) التي نصها.

ومتى جاء البارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحقّ الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي والإصحاح السادس عشر (الآية السابعة) التي تقول: (لكني أقول لكم الحق انّه خير لكم ان انطلق، لأنّه ان لم انطلق لا يأتيكم البارقليط، ولكن ان ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة، وعلى بر وعلى دينونة.

فلو تأمّلت يا بني هذه البشائر واعطيتها حقّها من التصفح والتفهم عثرت في أثنائها على الحق بأجلى بيان وأوضح دليل وبرهان، وهي لا تحتاج بتفهّمها إلى سمو المدارك والحكمة الفائقة، بل إلى حسن النية والاعتراف بالحقائق الراهنة.

ثم قرأ في الزبور المزمور الثاني والمزمور الخامس والأربعين وقال:

انّ هذه تصفه بانّه سيكون نبياً قوياً ومملوءاً سيشمل كل الأمم، وكل أعدائه يخضعون تحت قدميه ويعاقبون على عصيانهم عليه، لأنّ الموعود به فيها سيكون ملكوته ملكوت مجد وانتصار ينقضّ على أعداء الله بغتة،

1- كلمة يونانية معناها أحمد.

ويقول بهم القضاء المبرم فيسقطون أمامه كرهاً وقسراً، لان ما اعلنه الله في كتبه المقدسّة وأوحى به لأنبيائه لابد أن يتم بحروفه، والله لا يغلط بشيء من أعمال قضائه، وما النبوّات إلاّ إشارات من بعد إلى أمور مستقبلة، لأن وظيفة الأنبياء من آدم إلى المسيح لم تكن إلاّ للتخبير عن هذا النبي وعظمته وكانوا جميعهم سباقاً قدامه ليخبروا عنه، ويصفوا أمجاد ملكه وعدله وحسن إجراءاته ويصرّحوا باسمه تصريحاً لا شبهة به، لأنّه كان في كل جيل رجاء العالم وانتظارهم، ثم قال انيّ سأقرأ لك

نبوات أُخرَ عنه فيها من البراهين المعقولة والأدلةّ المحسوسة ما لا يترك أدنى شك في النفوس، فقرأ أولا فيّ سفر أشعيا الإصحاح الرابع والخمسين (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد) إلى آخر الإصحاح، وفسّر هذه النبوة بمكة التي نشأ فيها هذا النبي.

وقرأ في سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر آية 18 وهو خطاب الله سبحانه وتعالى لموسى: (اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به.

قال أفهمت يا بني معنى هذه الآية، فقوله ان النبي سيكون من اخوتهم أي من الاسماعيليين، فالعرب المستعربة كما تعلم هم من ذرية اسماعيل وبنو اسرائيل من ذرية اسحاق، إذاً العرب المستعربة وبنو اسرائيل اخوان في النسب.

ثمّ ذكر مناقشة دارت بين بحيرا وصاحبه في انّ المقصود بها

محمّدٌ(صلى الله عليه وآله) أو عيسى(عليه السلام)، وذكر قول بحيرا وملخصه انهّ لا يجوز ان يكون المقصود بها عيسى، لأنّ قوله (نبي مثلك) يقضي بمماثلة النبي لموسى، أي أنهّ يكون نبياّ مشترعا وأمرا فاتحًا، قدً جمع بين يديه السلطتين سلطة الرسول المبعوث وسلطة الحاكم الآمر، واين للمسيح هذه المشابهة؟

انتهى ما أردنا نقله من البراهين الجلية، والغرض من ذكره على طوله الاستشهاد به على انّ العلم بنبوة محمدّ(صلى الله عليه وآله) لم يكن محصوراً بالإنجيل حتىّ يذهب بذهابه، بل كان مدلولاً عليه(صلى الله عليه وآله) من جهات شتىّ، وقد أثبتنا لك ذلك ممّا نقلناه من تاريخي المسلمين والمسيحيين، هذا على انّ هناك انجيلا آخر طوته الأيدي[1]، واخفته عن أعين الناظرين الأهواء والأغراض، فبقي مصوناً عن أقلام المحرفين بعيداً عن تغييراتهم، حتىّ أظهرته المشيئة الإلهيةّ في هذه العصور المتأخّرة حجّة على الجاهلين، وانّ فيه من التصريحات عن محمد(صلى الله عليه وآله) ما يرشد للحق ويهدي إلى الطريق المستقيم، وهذه نبذة منهُ وجيزة فاستمع اليها:

قال برنابا في الكلمة الثانية والعشرين من الفصل السابع عن عيسى: (ولكن سيأتي بعدي بهاء كل الأنبياء والأطهار فيشرق نوراً على ظلمات

1 - هو إنجيل برنابا المترجم من اللغة الانكليزية بقلم الدكتور خليل سعادة الذي عثر عليه بعد البحث عنه في مكتبة البابا سكتس الخامس في أواخر القرن السادس عشر ثمّ ظهرت منه نسخة إيطالية سنة 1709 ونسخة اسبانية في أوائل القرن الثامن عشر ونقلها الدكتور منكهوس إلى اللغة الانكليزية ودفع الأصل مع الترجمة إلى الدكتور هويت سنة 1784 فتبصّر.

سائر ما قال الأنبياء لأنهّ رسول الله، ومعناه انهّ يوضحّ مبهمات كلامهم، ويجلي معميات أقوالهم، لأنهّ رسول الله إلى الخلق بالقرآن المبين) وفي الكلمة السادسة من الفصل السادس والثلاثين:

(وقد جاء الأنبياء كلّهم إلاّ رسول الله الذي سيأتي بعدي، لأنّ الله يريد ذلك حتىّ أهيىء طريقه)، أي لأن الله يريد أن يكون محمّدٌ(صلى الله عليه وآله) بعد عيسى(عليه السلام) حين يبشرّ العالم بمجيئه(صلى الله عليه وآله) **(وإذ قال عيسى ابن مريم يا**[1]

بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

وفي الكلمة الرابعة عشرة من الفصل التاسع والثلاثين: (فلمّا انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس، نصّها لا إله إلاّ الله محمدّ رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه، وقال: اشكرك أيها الرب إلهي، لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات محمّد رسول الله، فأجاب الله: مرحباً بك يا عبدي آدم، وانيّ أقول لك انك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنّما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كلّ الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سموي ستين ألف سنة قبل أن اخلق شيئاً).

وفي الكلمة الرابعة والعشرين من الفصل الواحد والاربعين (ثمّ قال الله

1- الصف: 6.

لآدم وحوا اللذين كانا ينتحبان: اخرجا من الجنة وجاهدا أبدانكما، ولا يضعف رجاؤكما، لأنّي ارسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن تُرفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري، لأنّي سأعطي رسولي الذي سيأتي كلّ شيء، فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس، فلمّا التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب لا إله إلا الله محمدّ رسول الله، فبكى عند ذلك، وقال: أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعاً، وتخلصنا من هذا الشقاء).

وفي الكلمة الرابعة عشرة من الفصل الثاني والاربعين عن عيسى: (ولستُ أحسب نفسي نظير الذي تقولون لأنّي لست أهلا أن احلّ رباطات جرموق أو سير حذاء رسول الله الذي تسموته مسيا، الذي خلقَ قبلي وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية).

وفي الكلمة الخامسة من الفصل الثالث والاربعين: (حينئذ قال انواوس: لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا فتكرم بالتصريح لنا بكلّ شيء، فأجاب يسوع: كلّ من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء، لذلك أقول لكم ان الله لما كان بالحقيقة كاملا لم يكن له حاجة إلى غناء، لأنّه الغناء عند نفسه، وهكذا لمّا أراد أن يعمل خلق قبل كلّ شيء نفس رسوله الذي لأجله قصد إلى خلق الكلّ، لكي تجد الخلائق فرحاً وبركة بالله ويسرّ رسوله بكل خلائقه، التي قدر أن تكون عبيدا له، ولماذا؟ وهل كان هذا

هكذا؟ إلاّ لأنّ الله أراد ذلك[1] الحق، أقول لكم: انّ لكلّ نبي متى جاء فإنّه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض[2] الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوّة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يقوى الشيطان).

وفي الكلمة التاسعة عشرة من الفصل الرابع والاربعين (لذلك أقول لكم: انّ رسول الله بهاء يسرّ كلّ ما صنع الله تقويما، لأنّه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصرّ والاعتدال، مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التي أخذ منها عن الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه.

ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدّقوني إنّي رأيته وقدمت له الاحترام، كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه قوّة[3]، ولمّا رأيته امتلأت

1- أراد الله ان يعرف فخلق نفس محمّد(صلى الله عليه وآله) وخلق الخلق لمسرّته كما يفهم من هذا الكلام.

2- يعطيه ما هو في السلطة عليه بمثابة خاتم يده.

3 -وإلى نظير هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى في القرآن خطاباً لمحمّد(صلى الله عليه وآله) **(وتوكّل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)** وفي الحديث عنه(صلى الله عليه وآله) انّه قال (لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتّى أخرجني في عالمكم هذا) الخ إلاّ ان بانتقال نوره(صلى الله عليه وآله) إلى عيسى(عليه السلام)تأمل وبحث ليس هذا موضعه فليتأمّل.

عواء قائلاً يا محمّد ليكن الله معك، وليجعلني أهلاً أن احل سَّير حذائك، لأنّي إذا نلت هذا صوت نبيا عظيما).

هذا قليل من كثير ممّا هو موجود في انجيل برنابا من ذكريات محمّد(صلى الله عليه وآله)المثبتة لما ادعيناه في صدر هذا الفصل من أن أعلام نبوّته(صلى الله عليه وآله)غير محصورة في جهة واحدة ولا مقصورة على دلالة مخصوصة.

فإذا عرفت ذلك تعلم انّ إيمان الراهب بحيرا وأمثاله بمحمّد(صلى الله عليه وآله) كان من العلم المستفيض على لسان عيسى، وغيره من أنبياء الله وأوصياء أنبيائه بشأنه(صلى الله عليه وآله)، حتّى إذا أشرق ذلك النور، وسطع ضياء ذلك الهدى:

وافت إليه ذوو البصائر ولّها تطوي القفار يقودها عرفانها

الفصل الخامس

لم أجد في السؤال العاشر وهو قوله (هل اعترف أحد من اليهود بنبوّة عيسى عند ظهوره تابعين قول نبيّهم) مرضيّاً صالحاً ولا مقصداً حسناً، وكيف كان فإنّا نبيّن في الجواب ما فيه الفائدة إن شاء الله تعالى فاستمع.

يحدّثنا برنابا في إنجيله إنّ أوّل من آمن بعيسى أمه، وذلك انه قصّ علينا في الفصل العاشر منه ما ملخصه: انه لمّا بلغ عيسى ثلاثين سنة نزل عليه جبرئيل بالوحي، وهو على جبل الزيتون، كاشف مريم أمّه بكلّ ذلك، فلمّا سمعت مريم هذا أجابت: يا بني إنّي نبئت بكلّ ذلك قبل أن تولد).

وان لهذه الصديقة مثيلاً في الإسلام خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يحدثّنا العلامّة المجلسي(رحمه الله) في ص449 من المجلّد السادس من كتابه بحار الأنوار بما ملخّصه: إنّ جبرئيل لما نزل على محمد(صلى

الله عليه وآله)، وأعطاه ما أعطاه، توجّه إلى خديجة، فكان كلّ شيء يسجد له، ويقول بلسان فصيح: السلام عليك يا نبي الله، فلمّا دخل الدار صارت الدار منورة، فقالت خديجة: وما هذا النور؟ قال: هذا نور النبوة، قولي لا إله إلا الله محمدرسول الله، فقالت خديجة: طالما عرفت ذلك.

ومنه تعلم انّه كان إيمان من آمن بعيسى(عليه السلام) كإيمان مَن آمن بمحمدّ(صلى الله عليه وآله)مسببا عَن أخبار السابقين وضياء الأدلّة المبين فافهم.

وأمّا السؤال عن انّه (هل كان منَ كان نصوانيا قَبل الإسلام كان مشركا)؟ فقد عرفت الجواب عنه من تضاعيف المباحث السابقة، كيف وقد فهمت انّ في أولهم مثل برنابا وفي آخرهم مثل بحيرا المؤمنين العارفين بمحمدّ(صلى الله عليه وآله)أكثر ممّا يعرفه كثير من المسلمين.

الفصل السادس

لقد تطرّق السائل بسؤاله (ماذا تقول بخروج المسيح بعد موته بثلاثة أيام من بين الأموات) وهذا القرآن كتاب الله المنزّل على محمّد(صلى الله عليه وآله) يقول في (الآية السادسة والخمسين بعد المئة) من سورة النساء في بيان تعداد أفعال اليهود التي أخذوا بها **(وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلاّ اتبّاع الظن وما قتلوه يقينا بلّ رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما)**، فكيف يسألني عن أمر أنهاه القرآن، وبيّن أن ما يقوله وزعمه أهل الكتاب من قتل عيسى وصلبه أمر باطل استحقوا أن يؤخذوا به، أفيطمع في مؤمن بالله أن يقول بخلاف قوله، لقد طلب ما لا يُدرك، نعم، لو سأل عن وفاة عيسى وموته بغير القتل والصلب المزعوم متمسّكاً لذلك بظاهر قوله تعالى في (الآية الخامسة والخمسين) من سورة آل عمران **(يا عيسى إنّي متوفيك ورافعك إلي)**، وفي (الآية العشرين بعد المئة) من سورة المائدة في مقام حكاية خطاب عيسى لربّه **(فلمّا توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم)** لكان له وجه، فإن كان هذا هو المقصود، ولكن كان التعبير

بصورة تدلّ على قصد ما تقوله الأناجيل من موت عيسى بيد اليهود صلباً ودفنه، ثمّ قيامه في اليوم الثالث فإليك الجواب عنه:

اعلم انّه جاء في الخبر عن النبي(صلى الله عليه وآله) انّه قال: (إنّ عيسى بن مريم لم يمت، وانه راجع إليكم قبل يوم القيامة) وقد صحّ عنه(صلى الله عليه وآله) انّه قال: (كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم)، رواه البخاري ومسلم في الصحيح، وبرنابا كتب في أواخر الفصل السابع عشر بعد المئتين من إنجيله: إن يسوع قال على نحو أصبح معلوماً عند

تلاميذه من غير شك (انّه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنّه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم) وأماّ قوله تعالى: **(يا عيسى إنّي متوفّيك ورافعك)** ، فلا دلالة فيه على الوفاة قبل الرفع لأنّ الواو لا توجب الترتيب، ويكون المعنى على هذا أنّي قابضك بالموت بعد نزولك من السماء، وهو المستفاد من كلمة انجيل برنابا، هذا على ان متوفيك ليست نصّاً في الدلالة على الوفاة بمعنى الموت، بل قال بعض المفسّرين: ان معنى متوفيّكرافعك إلي وَّافيا لَم ينالوا منك شيئا، مِن قولهم توفيت كذا واستوفيته أيّ أخذته تاماً، وان مّعناه متسلمك من قولهم توفيتّ منه كذا أي تسّلمته، وعلى كلا الوجهين فالمقصود اني قّابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت، وعليه جملة من المفسّرين، وكذلك الحال في الآية الاُخرى فتدبرّ.

أمّا ما تقوله الأناجيل الأربعة من موت عيسى بيد اليهود صلباً، فشيء تفوّدَّت به، وقد عرفت بما أسلفناه لك من أحوالها قيمتها في سوق العلم

ومكانتها من الوثاقة والاعتبار، وانّه لا يمكن الاعتماد على ما نقل فيها فلا تريدك علماً، وان من الغريب الجمع بين الاعتقاد بألوهيته ووفاته كما تزعمون.

وهل يستحق الألوهية شخصٌ يموت بيد عبد يهودي؟ والإله إذا مات فمن يحييه؟ ومن يستقل بتدبير الخلق بعد موته؟

أمور تأخذ بالإنسان الحيرة والذهول كلّما تأمل فيها وفيما عليه كثير من المسيحيين من فطنة وذكاء، ألم يدبرّوا انّ العاقل لا يرضى لنفسه الصغار؟ ولا يقبل لها بالذل والهوان؟ فكيف يرضى الإله تزعمهم أن يكون مقوّلا بيد أعدائه؟ مصلوباً بأكف مبغضيه؟ ولماذا لم يدفع عن نفسه؟ وما الذي ألجأه إلى الرضا بذلك التحقير؟ واضطره إلى قبول ذاك الخسف والامتهان؟ وان كان عن مصلحة وحكمة كما تزعمون فعلامَ حزنه واكتئابه[1] وبمّن استغاثته واستنصاره بقوله "ان أمكن فلتعبرّ عنيّ هذه الكاس[2] ؟ وعلى مَن لومه وعتبه بقوله .وهو على الصليب . إلهي لماذا تركتني"[3] ؟

أمَا آن لهذه النفوس أن تستيقظ من كرى الغفلة؟ أما آن لتلك العقول أن

1 - قال متّى في الإصحاح 26 فقال يسوع للتلاميذ اجلسوا ههنا حتّى أمضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب.

2 – في الإصحاح السادس والعشرين من انجيل متّى كلمة 39.

3 – في الكلمة الحادية عشرة من الإصحاح السابع والعشرين من انجيل متّى.

تبصر وقد أضاء النهار؟ أين هذا الذل عن مقام الألوهية؟ وكبرياء المعبود، وجبروتية الخالق، ألم يهلك عاداً وثموداً لما عصوه؟ ألم يقلب المدائن على قوم لوط حين أغضبوه؟ ألم يغرق فرعون وقومه لما استكبروا عليه؟ ألم يحلّل ببني اسرائيل العذاب لما عبدوا غيره؟ فكيف يرضى بذلك التحقير والامتهان؟ **(انّ في ذلك لذكرى لمَن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد)**[1] .

1- ق: 37.

الفصل السابع

لقد التزمنا في الأجوبة على هذه المسائل الاثنتى عشرة بالسير على منهج سهل وطريق جلي ولم نأخذه بشيء منها إلى جهة التعمّق والمناحي الغامضة رغبة بتعميم الفائدة والمنفعة وإيضاح الحقيقة لكلّ ذي عينين.

ولا نعدو ذلك أيضاً بالجواب عن المسألة الثالثة عشرة وهي (ما تقول بصعود المسيح إلى السماء بعد أربعين يوماً من خروجه من القبر على مرأىً من تلاميذه). اعلم رعاك الله ان صعود المسيح إلى السماء حينما أريد به القتل أمر قرّره القرآن وقد عرفت ما تلونا عليك منه ونحن به مؤمنون.

وأمّا انّه كان بعد اربعين يوماً من خروجه من القبر فقد عرفت ما في هذا القول في البحث السادس،ولا نخفي عليك ما ذكر في العهد الجديد من هذا الأمر، ففي الكلمة التاسعة عشرة من الإصحاح السادس عشر من انجيل مرقس قال: (ثمّ انّ الرب بعدما كلّمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله)، وفي الكلمة الحادية والخمسين من الإصحاح الرابع والعشرين من انجيل لوقا قال عن المسيح: (وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء).

وفي الكلمة الثالثة من الإصحاح الأوّل من أعمال الرسل في مقام الحكاية عن ارتفاع عيسى بعد ما أوصى الرسل قال: (وهو يظهر لهم اربعين يوما)، ثمّ قال في الكلمة التاسعة منه: (ولمّا قال هذا ارتفع وهم ينظرون واخذته سحابة عن أعينهم)، كلمات تدلك بنفسها على نفسها، أترى ان الله تعالى شأنه جسم تتركه الأبصار وتحويه الأماكن ليكون المسيح جالساً عن يمينه؟! ثمّ انّه إذا كان جالساً عن يمينه فهو غيره، مباين له ومنفصل عنه، فما ذلك الاتحاد والوحدة المزعومة عندهم بقولهم الآب والابن وروح القدس إله واحد؟ وكيف تكون الثلاثة واحداً؟ وماذا يصنعون بإنجيلهم وقوله (جلس عن يمين الله)؟ ثمّ ماذا يصنعون بقوله (وأصعد إلى السماء)؟ وقول أعمال الرسل (وأخذته سحابة عن أعينهم)؟ فمَن الذي صعد به؟ وكيف أخذته السحابة؟ وأيّهما أقدر من صاحبه الحامل أم المحمول؟ والآخذ أم المأخوذ؟ والصاعد أم مَن صعد به؟

(يا أيّها الناس ضُرِبَ مَثَل فاستمعوا له إن الذين تدعونّ من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولوً اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حقّ قدره انّ الله لقوي عزيز) [1].

أيّها السائل: إذا كان عيسى أصعد به واخذته سحابة فذلك آية انّه عبدٌ محكوم عليه والحاكم عليه أقدر منه أفلا يبصرون؟ أيّها السائل انّ محمدّا(صلى الله عليه وآله) جاء إلى الخلق فأخبرهم عن الله بما أذعنت له العقول بعد

1- الحج: 73.

تشويدها، وسكنت له الأفئدة بعد اضطرابها، واهتدت به بعد حيرتها، فهم به مؤمنون، لقد سأل بعضهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وباب مدينة علمه أن يصف الله حتّى كأنّه يراه عيانا فغضب(عليه السلام)، وإنّما كان غضبه لأنّ السائل طلب أمرا لا ينبغي أن يطلبه ذو لب مّن الوقوف على كنه عظمة الله، فكأنه بّغضبه زجره عن محاولة ما يروم، ومن هنا تراه يقول له في خطابه البليغ:

فانظر أيّها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فأتم به واستضيء بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي(صلى الله عليه وآله) وأئمّة الهدى أثره، فكلّ علمه إلى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حق الله عليك. واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب [1] ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، وسمى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمه الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين، ثم أخذ(عليه السلام) يذكر له ما يجب ان يعرفه من صفته فقال: هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته [2] ، وحاول الفكر المرأ من خطرات

1- السدد جمع سدّة وهي ما يمنعك من الدخول إلى الدار والإقرار فاعل أغناهم.

2 – ارتماء الأوهام سبقها أمام الفكر كالطليعة لها لتدرك منقطع القدرة أي منتهاها.

الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته [1] ، وتولّهت القلوب إليه [2] لتجري في كيفيّة صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب [3] متخلّصة إليه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معترفة بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزّته، الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذي عليه من خالق معهود كان قبله، وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قدرته، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته واعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّة له، ودليلا عليه، وان كان خلقا صامتا فحجّته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة، واشهد انّ من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم مفاصلهم المحتاجة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندلّك، وكأنّه لم يسمع تبرأ التابعين من المتبوعين إذ يقولون **(تالله ان كنّا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)** ، كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم،

1- الفكر قسمان مغلوب بالوساوس وغالب لها والمبرّأ هو الغالب وإذا كان هذا عاجز فالمغلوب أعجز.

2 – أي اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه.

3 –ردعها جواب إذا لزمت المتقدّمة.

وعجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم، وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر ممّا تنزّلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك، وانكّ انت الله الذي لم تتناهَ في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفاً، ولا في رويات خواطرها فتكون محدوداً مصوفا.

إلى آخر ما قال(عليه السلام) في هذا المقام الذي تنقطع دونه ألسنة الفصحاء، وتخرس عن الإتيان بمثله أفواه البلغاء، قد كشف النقاب عنه، وأماط الحجاب عمّا يجبّ أن تكون عليه العباد فيه.

وأزيدك على ذلك بحديث أرويه ذلك عن أمير المؤمنين(عليه السلام) يكشف ذلك عمّا يجب أن تعتقد في الله تعالى شأنه.

جاءت الرواية أن بعض أحبار اليهود سأل أحد أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)عن الله تعالى أين هو أفي السماء أم في الأرض؟ فقال الصحابي: هو في السماء على العرش فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان، ثمّ خرج من عنده واستقبله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقال: يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنا نقول انّ الله عزّ وجل اين الاين فلا اين له وجلّ أن يحويه مكان، وهو في كل مّكان بغير مماسة ولا مجاورة، يحيط علماً ممّا فيها لا يخلو شيء منها من تدبره، وانيّ مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم بصدق ما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به؟ فقال اليهودي: نعم، قال: ألستم تجدون في

بعض كتبكم انّ موسى بن عمران(عليه السلام) كان ذات يوم جالساً إذ جاء ملك من المشرق فقال له موسى: من اين أقبلت؟ قال: من عند الله عزّ وجل، ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ فقال: من عند الله عزّ وجل، ثم جّاءه ملك فقال له: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّ وجل، وجاءه ملك آخر فقال له قد جئتك من الأرض السفلى السابعة من عند الله تعالى، فقال موسى(عليه السلام): سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان، فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق الخ[1].

ومنه تعلم انّ هذا هو الذي جاءت به الأنبياء ودعت إليه الرسل من قبل، ولكن لم توضح لأممها كما أوضح رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولم تكشف عنه كما كشفت عنه أوصيائه(عليهم السلام)، فالتاطت العقول بعبادة الأوثان تارة وبتشبيه الله بخلقه أخرى، حتّى جاء(صلى الله عليه وآله) فرأ الأذهان ممّا دنست به، وطهر الأفكار ممّا توهمتّه، وبقيت من العرب بقية قد غلب عليهم الهوى، وأضلهم حب الدنيا، فإن يسمعوا فقد هدوا وإن يعرضوا فلن يضرّوا الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين والحمد لله ربّ العالمين.

وقع الفراغ منه يوم السبت الثالث من شهر رمضان المبارك سنة 1351 على يد مؤلفه الخاطىء.

المهاجر العاملي

حبيب آل إبراهيم

1- عن إرشاد المفيد.